الخطبة الثالثة والثلاثون

الشعائر التعاملية - حقوق العباد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

الدين أقسام:

1 - عقيدة وفكر، وما ينطوي عليه القلب من اعتقاد وفهم وقناعة، وهذه العقيدة لا بُدَّ فيها من التعلم والتلقي والفهم الصحيح، فهي ليست خاضعة لذكاء وتحليل، فالعقيدة مرتبطة بالوحي القرآني والوحي النبوي، فلو جمعت كل العلماء والفقهاء والنجباء ما استطاعوا أن يشرحوا كيفية الملائكة ولا الجن، فلا بُدَّ من النقل الصحيح عن الله تعالى وعن رسوله عليه الصلاة والسلام، فإذا لم يستطيعوا أن يشرحوا عن الملائكة أو الجن، فهل لهم أن يشرحوا عن الله تعالى؟ الجواب: طبعاً لا، لذلك أعلمنا الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته، وعلَّم نبيه عليه الصلاة والسلام حتى يعلمنا نحن، فأركان العقيدة من: 1 - توحيد الألوهية، ومعناها: أن الله سبحانه وتعالى هو الإله وأن الإله هو المشرع، وهو الذي يُعْبَدُ، وهو الذي لا يعبد إلا بما شَرَّعْ، فنحن لا نخترع ولا نؤلف عبادة، ولكن نعبد الله تعالى كما أمرنا وكما علمنا رسولنا ﷺ، فكل عبادة يلزمها تعليم ونص من الرسول ﷺ، وذلك لأن العبادة وتشريعاتها من اختصاص الله سبحانه وتعالى، وبقية أوامر الدين كلها عبادات فلا بدَّ لها من نص.

ومن أركان العقيدة: 2 - توحيد الربوبية، وهي أن الله خالق كل شيء، وهو على كل شيء وكيل، ولا أحد يستطيع أن يخلق ولا أن يوجد شيئًا، فالخلق والرزق والحياة والممات والإيجاد بكل أنواعه هو لله تعالى، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 7/ 54]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: 30/ 27].

ومن أركان العقيدة: 3 - توحيد الأسماء والصفات، وذلك حتى نعرف الله سبحانه من خلال أسماءه وصفاته وحتى نخافه وحتى نرجوه ونعبده وندعوه بها، وحتى نتخلق بها فالله كريم يحب الكريم، وهو سبحانه عفو يحب العفو، وهو سبحانه لطيف ودود يحب اللطيف بأهله وأولاده وأصحابه وإخوانه ودود لهم، وكذلك بقية الأسماء والصفات.

وأما القسم الثاني من أقسام الدين فهو:

2 - الشعائر التعبدية: وهي كل ما أمر الله تعالى به وشرحه وبينه رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، والشعائر التعبدية هي خالصة بين العبد وربه، فأنت تعمل ليرضى عنك ربك، أنت تعمل مخلصاً لله تعالى ترجو ثوابه وتخاف عقابه، ترجو الجنة وتخاف النار، تعمل وفق أمر الله سبحانه ووفق أمر رسوله ﷺ، لأن طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله تعالى، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 4/ 80]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: 24/ 52]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 33/ 71].

3 - الشعائر التعاملية: فهي شعائر تعبدية ترجو بها رضوان الله تعالى، ولكنها -أي: الشعائر التعاملية- بينك وبين الناس، فأنت لا تغش ولا تكذب ولا تسرق ولا تقتل ولا تؤذي الناس لأنك تعبد الله وتخافه، فالشعائر التعاملية هي حقوق العباد، وهذه لا تسقط بالصلاة والصيام والحج، فلا بدَّ من إرجاع الحقوق لأصحابها، ولا بد من

المقاصّة في الدنيا وإلا ستكون المقاصّة وأخذ الحقوق في الآخرة وستكون بالحسنات والسيئات، فالغيبة والنميمة والسرقة وأكل مال اليتيم وشهادة الزور والغش بأنواعه والكذب والافتراء على الناس لا بد فيها من الحساب، ولا بد من إرجاع الحقوق لأهلها، وهذا من العدل الإلهي المطلق. وسأطيل الكلام والشواهد في مجال الشعائر التعاملية لأنها في اعتقادي وملاحظتي أنها داء مجتمعنا، عافانا الله وإياكم. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: 49/ 11].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بحسب امرئ من الشر بأن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه» رواه مسلم، قوله عليه الصلاة والسلام: «بحسب امرئ من الشر» معناها: أن نهاية الشر وأعلاه وأعظمه.

(وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ): لا تحتقر غيرك لعيب فيه، والتنابز بالألقاب معناها: كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: أن يكون الرجل قد عمل عملاً سيئاً ثم تاب منه، ومع توبته وإقلاعه عن ذلك الفعل إلا أنّ الناس يدعونه: يا سارق، يا عاق، يا زاني، يا حرامي، يا غشاش... وقد يكون صاحب عاهة: كالعمى والطرش والعرج.. فتدعوه بها، فهذا من اللمز والتنابز بالألقاب، ومن السخرية ومن التحقير، وهذا كله من الأذى وقد حذر الله منه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: 33/ 58].

قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ من آية الحجرات، ظلموا أنفسهم وإخوانهم، وخالفوا أوامر الله تعالى وشريعته، وخالفوا سنة نبيهم ﷺ، وأشاعوا الفاحشة وعلّمُوا أولادهم السباب والشتم، لأن الولد يفعل ما يفعله أهله، وبذلك أشاعوا الكُرْه في المجتمع، والضغينة في النفوس، والحقد وحب الانتقام، والأخذ بالثأر، ونزعة رد

الاعتبار، وتمني الشر لبقية أفراد المجتمع، وماتت الرحمة والسماحة وحب الخير بين أفراد المجتمع، ومات الدعاء بالعافية لجميع المتضررين، وتفرقت الأمة فالفقير يكره الغني لأن الغني يستحقره، والمصاب بعلة يكره السليم؛ لأن السليم يلمزه ويعيب عليه ويعيّره، والدميم يكره الجميل، وهكذا تفرقت جماعة الأمة وانتصر الشيطان، وأين نحن من الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 49/ 10]؟!!

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: 49/ 12].

وقيل في سبب نزول هذه الآية: إن الرسول ﷺ جعل في بعض أسفاره سلمان الفارسي رضي الله عنه مع رجلين موسرين، وكان سلمان يخدمهما، فنام سلمان ولم يهيئ لهما طعاماً، فأيقظاه وقالا له: اذهب إلى النبي والتمس لنا طعاماً، فذهب سلمان إلى النبي ﷺ، الذي أرسله إلى أسامة بن زيد ليعطيه طعاماً، ولكن أسامة قال لسلمان رضي الله عنه: ما عندي شيء، فرجع سلمان إلى الرجلين فأخبرهما أن لا شيء يؤكل عند أسامة، فقالا: قد كان عنده وبخل، ثم قالا: لو أُرْسِلَ سلمان إلى بئر سمية لغار، وانطلق الرجلان يتجسسان، هل عند أسامة من شيء؟ فرآهما رسول الله ﷺ فقال لهما: «ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما؟ قالا: والله يا نبي الله، ما أكلنا في يومنا هذا لا لحماً ولا غيره، فقال ﷺ: ولكنكما أكلتما لحم سلمان وأسامة بن زيد»! فنزلت الآية ... وهذه الرواية، قال الزبيدي لا أصل لها، وليس لها سند، ورويتها للعبرة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» متفق عليه، فلا تظن بصاحبك أو بأخيك إلا خيراً، والغيبة حرام إلا في ستة مواضع:

1 - الاستفتاء: أي أن يقول المظلوم للمفتي: إن فلان فعل بي كذا وكذا، فما حكم هذا؟ 2 - أن يقول المظلوم للقاضي مظلمته، 3 - تحذير المسلمين من الشر،

بأن هناك سارق أو مجرم أو مبتدع، 4 - ولا غيبة لمجاهر بمعصيته، 5 - التعريف بالشخص (كالأعمش) بدون تحقير أو مَذلّة، 6 - السؤال عن الخاطب، فيجب قول الحق فيه، وما عدا هذه الستة فالغيبة حرام حرام.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «خير جلسائكم من تُذكِّركم بالله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه، ويذكركم بالآخرة عمله» عبد بن حميد والحكيم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم ست: 1 - إذا لقيته فسلم عليه، 2 -إذا دعاك فأجبه، 3 - وإذا استنصحك فانصح له، 4 - وإذا عطس فحمد الله فشمته، 5 - وإذا مرض فعده، 6 - وإذا مات فشيعه» مسلم - البخاري في الأدب المفرد.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه (عويمر بن زيد بن قيس الخزرجي) وقيل: عويمر بن عامر - وكان أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ وهم: (أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد) البخاري- قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثله» مسلم وأبو داود، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: 42/ 52]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: 40/ 28]، وقال تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ [الذاريات: 51/ 10]، (الخراصون): الكذابون.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً» متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث -وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم-: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» متفق عليه.

وعن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن النبي ﷺ قال: «يا عائشة متى عهدتني فحاشـاً؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره» متفق عليه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «إذا نسبك رجل بما يعلم منك، فلا تنسبه لما تعلم منه، فيكون أجر ذلك لك، ووباله عليه» ابن منيح، وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» متفق عليه.

وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «خير المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده» رواه مسلم، وعن سهل ابن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة» البخاري ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم» حم - البخاري، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بشرار هذه الأمة؟ الثرثارون المتشدقون المتفيهقون، أفلا أنبئكم بخياركم؟ أحاسنكم أخلاقـاً» متفق عليه.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (سعد بن مالك بن سنان) عن النبي ﷺ: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها (تستكفي) تُكَفِّرُ اللسان فتقول له: اتقِ الله فينا، فإنما نحن بك فإذا استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا» ت - ابن خزيمة، (تُكَفِّرُ اللسان) أي: أن الأعضاء تخضع وتذل للسان، وكأن الأعضاء تقول: نحن تحت رحمتك فإن قلت خيراً فالخير ينالنا وينالك،وإن قلت شراً فالعقاب علينا وعليك، وقيل: إن التكفير هو كفر النعمة، إذا نطق اللسان بالشر، وكأن الأعضاء تحذر اللسان من قول الشر وكفر نعمة الله تعالى؛ لأن العقاب سيقع على الأعضاء كلها، والله أعلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» د - هـ، وعن معاوية بن

حيدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له» حم - ت - د - ك، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا ينبغي لصدّيق أن يكون لعّانـًا» حم - مسلم، الصدّيق: صيغة مبالغة لمن كَثُر صِدقُهُ وتصديقه.

وعن جابر رضي الله عنه أن رجلاً لعن ناقة كان يركبها أو جملاً، فقال رسول الله ﷺ: «انزل عنه فلا تصحبنا بملعون، لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم» رواه مسلم.

وإليك قصة فيها فائدة كبيرة ومنهج تربوي فريد: ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رسالة مختصرة بعنوان (الاستغاثة) وهي رسالة علمية بالأدلة الشرعية في حكم الاستغاثة، وكان الأليق بالعلماء الذين يختلفون معه أن يتصدوا لمثل هذه المسألة بالدليل والبرهان العلمي، بعيداً عن التكفير والحكم بالزندقة والشتائم والسباب.

لكن الشيخ علي البكري كان رده على هذه الرسالة بالحكم على شيخ الإسلام ابن تيمية بالكفر والزندقة والخروج عن ملة الإسلام! ولم يكتفِ الشيخ البكري -عفا الله عنا عنه- بمجرد التكفير بل بالغ في إيذاء ابن تيمية بالقول والعمل، فقد قام باستعداء العوام على الشيخ وحَرَّضَ الجُنْد وأصحاب الدولة على شيخ الإسلام وشَهَّرَ به وأقذع الشتيمة في حقه.

وكان الشيخ البكري الأشد على شيخ الإسلام ابن تيمية، ففي محنة الشيخ سنة 707هـ حول قضية الاستغاثة طالب بعضهم بتعزير شيخ الإسلام، إلا أن الشيخ البكري طالب بقتله وسفك دمه، وفي سنة 711هـ تجمهر بعض الغوغاء بزعامة الشيخ البكري وتابعوا شيخ الإسلام ابن تيمية حتى تفردوا به وضربوه، وفي حادثة أخرى تفرد البكري بابن تيمية ووثب عليه ونتش أطواقه وطيلسانه، وبالغ في إيذاء ابن تيمية رضي الله عنه!

في المقابل تجمع الناس وشاهدوا ما حل بشيخ الإسلام من أذية وتعدي فطلبوا الشيخ البكري فهرب، وطلب أيضاً من جهة الدولة فهرب واختفى، وثار بسبب ما فعله فتنة، وحضر جماعة كثيرة من الجُنْد ومن الناس إلى شيخ الإسلام ابن تيمية لأجل الانتصار له والانتقام من خصمه الذي كَفَّرَهُ واعتدى عليه.

حينما تجمع الجند والناس على ابن تيمية يطالبون بنصرته وأن يشير عليهم بما يراه مناسباً للانتقام من خصمه البكري؛ أجابهم شيخ الإسلام بما يلي: أنا لا أنتصر لنفسي! فماج الناس والجند وأكثروا عليه وألحوا في طلب الانتقام؛ فقال لهم: إما أن يكون الحق لي، أو لكم، أو لله، فإن كان الحق لي فهو في حل، وإن كان لكم فإن لم تسمعوا مني فلا تستفتوني؛ وافعلوا ما شئتم، وإن كان الحق لله فالله يأخذ حقه كما يشاء ومتى يشاء.

ولما اشتد طلب الدولة للبكري وضاقت عليه الأرض بما رحبت هرب واختفى عند من؟ هرب واختفى في بيت ابن تيمية وعند شيخ الإسلام لما كان مقيماً في مصر، حتى شفع فيه ابن تيمية عند السلطان وعفا عنه!!

ومن وصايا أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (اعبد الله كأنك تراه، وعد نفسك في الموتى، وإياك ودعوة المظلوم، واعلم أن قليلاً يغنيك خير من كثير يلهيك، وأن البر لا يبلى، وأن الإثم لا ينسى)، وقال رضي الله عنه: (من أكثر ذكر الموت قل فرحه وقلّ حسده)، وجاءه رجل فقال: أوصني، فقال أبو الدرداء رضي الله عنه: (اذكر الله في السراء يذكرك في الضراء، وإذا ذكرت الموتى فاجعل نفسك كأحدهم، وإذا أشْرَفَتْ نَفْسُكَ على شيء من الدنيا فانظر إلى ما يصير).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

والصلاة والسلام على سيد المرسلين ... آمين